دير مار جرجس في بلودان

من ضواحي دمشق

لا ذكر لهذا الدير في كتب الديارات . وقد اغفل ياقوت تعريف بلودان نفسها بين قرى دمشق . ولا شكّ ان بعدها عن الطريق السابلة ، وتوقلها في قنة الجبل ، وصعوبة المصير اليها قديماً كان من اهم العقبات التي حالت بين الدير وزوّار المسلمين من عشّاق الخمور النصرانية . ولذلك لم يتغنَّ بذكره مُجّان الشعراء من حُرّفاء الحانات . واوحد من نوّه به ممن تكلم على الديارات شهاب الدين العمري ، وهو دمشقي المولد ، فلم يكن يفوته موقع الدير وإشرافه على جنة الزبداني . وقد وصفه بقوله :

« بناؤه قديم . بديع الحسن . وافر الظلة . كثير الكروم والفواكه . والماء الجاري . بقرية بلوذان وهي محاذية لكفر عامر . تطلّ من مشرفها على جنة الزبداني ببلاد دمشق . وبه رهبان نظاف . وغلمان من ابناء النصارى ظراف .

سردت به ونزلت اليه . ورأيت به غلاماً يفوق الظبي حسنا . ويشبه البدر او أسنى . بخصر نحيل . وطرف كحيل . قد قطع الزنار بين خصره وردفه . ونفث السحر بين جفنه وطرفه . ثم ما كان باعجل ما استتر بدره . ولاح ثم خفي فجره . فقلت فيه :

حبذا الدير من بلوذان دارا ... ايّ دير به وايّ نصارى
فيهم كل احور الطرف احوى ... فاتق الحسن في حياء المذارى
وغلام رأيته كهلال ... ما بدا للعيون حتى توارى
بتوام اذا تغايل نشوا ... نا فالحاظ مقلتيه سكارى
ناحل الخصر حلّ عقد اصطباري ... عندما شدّ خصره الزنارا
قبل رؤياه ما رأيت غزالا ... بات يسبي من رشئيه العقارا [1]

---

١) مسالك الأبصار ، مصر ، ١ : ٢٥٨

وهذا دأب الشعراء في الاسلام لا يخلون من كلّ ما يمرّ بهم في الديارات التي يطرقونها او يضيفون فيها الّا بالتغزل بولدانها وحورها . او بإطراء طيب خورها . فلا يكاد يظفر التاريخ بشيء يُؤثَر من اقوالهم فيها .

ومعلوم ان العمري توفي سنة ٧٤٩ للهجرة (١٣٤٨ م) وقد شهد ان الدير كان يُعَدّ في زمانه « قديم البناء » . ولكن هيهات ان يُعرف متى كان إنشاؤه . وهو من اديار الملكيين . وقد غابت عنا اخبار رؤسائه ورهبانه . وغاية ما عثرنا عليه منها ان رئيسه في سنة ١٥٩٦ كان الحاج داود . دون اشارة الى نسبته وأسرته . وكان لقب الحاج يُطلق على كل من زار بيت المقدس من رجال الدنيا والدين . ومن جملة رهبانه وقتئذٍ القس شحاده . والقس ميخايل . والشماس موسى . ولا يُدرى اي الناس هم . ورد ذكرهم جميعاً في حاشية مرّت بنا في ظهر الورقة ١٥٩ من انجيل سرياني ملكي رقم ٢٠ في خزانة الڤاتيكان . كتب سنة ١٥٢٧ للاسكندر اي ١٢١٦ للميلاد . وهذا نص الحاشية بالفاظها :

« رمم هذا الانجيل واصلحه الولد الحقير يحنا ابن القس مدلج من قرية بطرام من كورة طرابلس المحروسة . الاله الرؤوف والرب الرحيم يغفر له خطاياه وخطايا والديه . وخطايا القس شحادة . واخوه القس ميخايل . وخطايا الشماس موسى الذين اهتموا في عمله بشفاعة سيدة ام النور . وجميع القديسين آمين آمين .

وكان ذلك في سنة سبعة الف وماية واربعة لكون العالم . وعمله في دير مار جرجس بلودان . الله يسره طول الازمان . ويغفر خطايا الحاج داود رئيس الرهبان . . . »

وفي خزانة اكسفرد مخطوط تريودي سرياني ملكي رقم ٨٤ ، كُتبت عليه الوقفية الآتية :

« هذا التريودي المبارك وقف مؤبد . وحبس مخلد على دير القديس مار جرجس بقرية بلوذان . »

ولا تاريخ لهذه الوقفية .

وفي هذين التعليقين شاهد صريح بان لغة دير مار جرجس في بلودان التي كان يُصلّى بها الطقس الملكي كانت السريانية كما في صيدنايا وسائر اديار الملكيين في القرى والجبال .

وكان في دير بلودان خزانة مخطوطات قديمة كانت باقية حتى اواخر القرن السابع عشر ، وهو ما يُستفاد من قول البطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي :

« حصل لي خبر سمعان العامودي العجايبي . في كتاب رميم جدًا من كتب مار جرجس بمحروسة بلودان . وكان آخره ناقص . » (١

ونقل مثل ذلك ابنه الشماس بولس في كتابه المخطوط تاريخ انطاكية فقال :

« لما جمع والدي لما كان مطرانًا بمدينة حلب كتاب الدولاب اي اخبار جميع القديسين واكثرهم بخط يدي . واوقفهم على الفلاية المطرنية . كان في اين ما سمع في كتاب قديم في اي بلد كان او دير . يرسل يستحضره وبعد نساخته يرممه ويشيده ويرسله لمكانه . ومن جملة ذلك جاب كتاب قديم جدًا من دير القديس مار جرجس المشهور بقرية بلودان بقربة مدينة دمشق الشام . فيه خبر هذا القديس الشريف (سمعان العجايبي) لا غير . الا انه ناقص منه بعض اوراق . ومن آخره جانب كثير . وبالجهد حتى احييناه واظهرناه للوجود بكل تعب ونصب . ولم توجد له في بلاد العربية نسخة ثانية لتكملها . »

ولا يعلم متى بدأ خراب هذا الدير في القرن الثامن عشر . وكانت بعض جدرانه وابوابه لا تزال ماثلة في بدء القرن العشرين . وفيه مذبح متهدم تقام فيه الصلاة احيانًا . ولا يزال قوم في بلودان يذكرون ابوابه السبعة متتابعة متصلة حتى مدخل الكنيسة . وكل منها قائم من ثلاثة احجار فقط ضخمة . وجميعها بغير سقف . وهي قصيرة قليلة الارتفاع . وقد سلم منها الباب الاكبر . وترى اليوم في العرصة امام الكنيسة عدة آثار وبقايا عُمُد ومعاصر للدبس والخمر واجران وانقاض شتى ملقاة على الارض . وكان للدير املاك واوقاف جليلة وبساتين لا تزال تُعرف الى اليوم ببساتين الدير . استولى عليها اهل بلودان وتقاسمتها الاطماع . وتجزأت وتفرقت بالبيوع . وقد اشار اليها العمري بقوله « الدير وافر الغلة . كثير الكروم والفواكه » .

وفي عهد الجنرال غورو ، ادعى مسلمو بلودان ان الدير كان مسجدًا للشمس وحاولوا وضع ايديهم عليه ، ومنعوا النصارى من الصلاة فيه . فامر للحال بكف اطماعهم عنه ، وان لا يُعترض الروم في صلواتهم فيه . فتبرع المرحوم

١) كتاب النحلة ، رقم ١٦١ من مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت ، ص ٩٨

روفان مرقص الدمشقي بخمسمائة ليرة ذهباً لتجديد بناء الكنيسة واقتدى به بعض مواطنيه واعانهم قوم من المهاجرين في اميركة فبلغ المجموع ١١٩٧ جنيهاً انكليزياً . وبوشر بالعمارة سنة ١٩٢٣ وانتهي منها سنة ١٩٢٤ وهذا نص الكتابة المنقوشة في لوح على يسار مدخل الكنيسة :

« تجدد بناء هذه الكنيسة المقدسة للقديس جاورجيوس للروم الارثوذكس سنة ١٩٢٤ باحسان الغيور روفان يوسف مرقص الدمشقي . وحسنين آخرين مقيدة اسمآؤهم في اللوحة الثانية . شقيقة هذه اللوحة والفائقة بجانبها . وجمعية واشراف اللجنة المؤلفة من حضرات نعمان بك ابو شعر رئيساً . وعضوية الافندية سرحان شحفة . وخليل الخوري . وجورج لاذقاني . سنة ١٩٢٤ »

وللكنيسة صحن واحد . وامام الهيكل حاجز من الخشب . ولما زرناها بتاريخ ٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٣٦ كانت ابوابها مقفلة للخلاف الذي كان قائماً بين الخوري سيريدون بيطار واهل بلودان .